

أَهْدَافُ الْعَمَلِ الْمُصَرِّ

المراجع الأجنبية

- Saintine, Marcel, Reybaud* : Histoire scientifique et militaire de
L'Épédition Française en Egypte
- Blant* : Secret History of The English Occupation
- Morgan Shuster* : The Strangling of Persia
- Hans Kohn* : Western Civilisation in the Near East
- Eliot Grinnell Mears* : Modern Turkey
- Henri Massis* : Chéfs
- Emile Ludwig* : Genius and Character
- Adolf Hitler* : Mein Kampf

المراجع العربية

- عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر
- أحمد عرابي : كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة
بالثورة العرابية
- جوليت آدم : انجلترا في مصر — ترجمة علي فهمي كامل

من الاسراف في المغالطة أن يدعى حزب من الأحزاب السياسية المصرية التي تتناوب الحكم في مصر منذ عام ١٩٢٠ أنه أيقظ الشعور الوطنى وحدد للمصريين أهدافا معينة دعاهم إلى الوصول إليها . فإحساس المصريين بحقوقهم . وتمردهم على كل من يعتدى على هذه الحقوق قديم . أقدم من أى حزب سياسى قائم فى مصر الآن . بل أن تاريخ مصر الحديث ناطق بأن الزعامة التى كانت تقود المصريين إلى تلك الأهداف الوطنية كانت قبل ظهور الأحزاب السياسية المصرية الحالية أرشد وأجراً . وأشد إيماناً برسالتها . فالسيد عمر مكرم الذى دعا الشعب المصرى إلى الاجتماع يوم ١٢ مايو عام ١٨٠٥ فى دار المحكمة الشرعية بالقاهرة ليعرض عليه مظالم خورشيد باشا الوالى التركى استطاع أن يحدد أهداف الشعب وقتئذ تحديداً واضحاً وفق أحدث المبادئ الخاصة بسيادة الشعب . إذ أنه عندما حضر وكلاء الوالى التركى إلى دار المحكمة تقدم الزعماء المصريون بالمطالب الآتية :

١ - ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها العلماء والأعيان

٢ - أن يجلو الجنود العثمانيون عن القاهرة وتنتقل الحامية التركية إلى الجيزة

٣ - ألا يسمح بدخول جندى تركى إلى القاهرة حاملاً سلاحه

وهذه المطالب التى تقرر بضع حقوق رئيسية من حقوق الشعب تظهر إلى نى مدى وصل نضج زعماء الشعب المصرى فى أوائل القرن التاسع عشر . وقد قرر المؤرخون أن هذا الانقلاب السياسى الذى تم باسم الشعب وبواسطة الشعب إنما هو أول حادث من نوعه فى تاريخ الأقطار التى كانت تكون الدولة العثمانية . فشروط التفاهم التى فرضها العلماء المصريون على خورشيد باشا تشهد على الأقل بأن غريزة أولئك المصريين قد جبلت على الحرية

وعلى إحساس بالضمانات الشعبية التي كانت شعوب الشرق تجهلها حتى ذلك الوقت ^(١)

والدليل على أن إحساس الشعب المصرى بكرامته ، وحرص زعمائه على سعادته كانا فى ذلك الوقت أعظم بكثير مما أصبحا عليه بعد أن قامت الأحزاب السياسية المصرية الحالية بقيادة الرأى العام المصرى أن هذه الأحزاب قد قبلت فى ٢٦ أغسطس عام ١٩٣٦ عند توقيع معاهدة التحالف والصداقة مع بريطانيا العظمى إبقاء الثكنات البريطانية فى قلب عاصمة مصر أى فى قصر النيل . وقبلت أن يدخل الجنود الانجليز هذه العاصمة حاملين سلاحا فى وقت السلم أو فى وقت الحرب وهما أمران أبى زعماء الشعب المصرى عام ١٨٠٥ أن يسمحا بهما للجنود الأتراك !

وفى اليوم التالى لذلك اليوم التاريخى أى فى يوم ١٣ مايو عام ١٨٠٥ انتقل زعماء الشعب المصرى إلى دار محمد على ونادى السيد عمر مكرم بمجمع الوالى التركى خورشيد باشا فلما سألمهم محمد على عن يريدون والياً أجابوا بأنهم اختاروه هو - أى محمد على - والياً . ولاشك أن المحضر الذى حرره يومئذ الشيخ محمد الممدى قد تضمن أسى ما فى المبادئ الديمقراطية الصحيحة من مبادئ . وهو مبدأ حق المحكوم فى اختيار حاكمه . إذ ثبت فى ذلك المحضر « أن للشعوب طبقاً لما جرى به العرف قديماً ولما تنضى به أحكام الشريعة الاسلامية الحق فى أن يقيموا الولاية ولهم أن يعزلوه إذا انحرفوا عن سنن العدل وساروا بالظلم » ^(٢)

(١) Saintine, Marcel, Reybaud : Histoire Scientifique et militaire de L'Expedition Francaise en Egypte T9. P. 215

(٢) عبد الرحمن الرافعى « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى

مصر » الجزء الثانى ص ٣٧٢

وقد جاء فى الترجمة الفرنسية التى وردت فى الكتاب الذى أشرف Saintine

ولما ظهر التدخل الأجنبي في شؤون مصر وأحس المصريون بأن سيادتهم قد مست تقدم بعضهم لزعامة الرأي العام وألف محمد سلطان واحد عرابي ومحمود سامي البارودي وسليمان أباظه وحسن الشريعي حزبا سرياً أسموه « الحزب الوطني » وأصدروا منشوراً في ٤ نوفمبر عام ١٨٧٩ تضمن برنامج ذلك الحزب . أشار معظمه إلى كارثة الديون التي مكنت الأجانب من الاعتداء على سيادة مصر ولذلك عالجوا تلك الكارثة بالمطالب الآتية :

- ١ — أن تعود إلى الحكومة المصرية جميع الأملاك المسماة بالحديوية
 - ٢ — أن يلغى النص القاضي بتخصيص إيراد السكك الحديدية لسداد الدين الممتاز فان لم يرض الدائنون الأنجليز بذلك تعين عليهم قبول ذلك الدخل كما هو من غير أن تؤخذ بقية الفائدة المخصصة لهم من الدخل العام
 - ٣ — أن تكون الديون الممتازة والسائرة والمنظمة ديناً واحداً مضموناً بحال الأمة والبلاد بفائدة مقدارها ٤ في المائة
 - ٤ — أن تقام إدارة مراقبة وطنية خاصة يمثل الأجانب فيها ثلاثة ترشحهم الدول وتقرهم الحكومة المصرية^(١)
- وقد تطور هذا البرنامج فيما بعد عندما تبين زعماء الشعب المصري

= و Marcel و Reybaud على إصداره عن « التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية بمصر » المشار اليه سابقاً ما يدل على شدة تمسك المصريين بحكم القانون اذ اضافت تلك الترجمة في صفحة ٢١٣ من ذلك المرجع *car les tyrans sont rebelles à la loi, et la loi seule est souveraine*

(١) — احمد عرابي « كشف الستار عن سر الأمرار في النهضة المصرية المشهورة

بالثورة العرابية » ص ١٤٩

أن الأيدي الأجنبية تعمل على أن تحكم مصر حكماً استبدادياً فاعلن على العالم برنامجاً الشامل الذى تضمن :

١ — المحافظة على استقلال مصر ومقاومة من يحاول إخضاعها ويجعلها ولاية عثمانية

٢ — الولاء للخديوى وتأييد سلطته ما دامت أحكامه جارية وفقاً للعدل والقانون والاحاح عليه بتنفيذ ما وعده من إعطاء الشعب حكماً نيبائياً وإطلاق الحرية للمصريين والتعاون معهم بأمانة فى تحقيق هذه الأغراض

٣ — إخضاع الأجانب لما يخضع له المصريون من قوانين البلاد ومساواتهم بالمصريين فى اقتضاء الضرائب منهم

٤ — زيادة عدد الجيش للدفاع عن سيادة مصر إلى أن تبدأ الحياة النيابية باعتبار الجيش حارساً للشعب الذى لا سلاح له

٥ — جميع المصريين سواء فى الحقوق مهما اختلفت عقائدهم الدينية

٦ — إصلاح البلاد مادياً وأديباً ونشر التعليم وتوفير الحرية السياسية لكافة المصريين وهى الحرية التى يعتبرها الحزب حياة للأمة ^(١)

والنظرة الأولى لهذا البرنامج يتبين منها أنه تضمن الخطوط الرئيسية الخارجية لمطالب الشعب المصرى فى الحياة الحرة الكريمة . وأنه يمتاز برجولة التعهد بمقاومة كل محاولة للاعتداء على سيادة مصر بالقوة . وقد أثبت هذا الحزب فعلاً فيما بعد أنه قاوم الجيوش الانجليزية التى غزت مصر عام ١٨٨٢ المقاومة العسكرية التى كانت فى طاقة البلاد وقتئذ . ولم نسمع

Blunt: Secret History of the English Occupation P 556 (١)

وقد نشر البرنامج بعدد جريدة (النيس) الذى صدر فى أول يناير عام ١٨٨٢

إذ ذاك زعيما من أولئك الزعماء يسخر فيطلب « تجريدة » لايقاف ذلك
الاعتداء كما سمعنا بعد عندما اعتدى على حق مصر في السودان !

ولمابدأ مصطفى كامل حركته الخالدة المطالبة بحقوق الشعب المصرى
دعا إلى تمجيد المصرية ورفع شأنها فكان أول زعيم فى القرن العشرين
فهم نفسية الجماهير فسمّا بها وقضى على الرجعية التى كانت سائدة والتي كانت
تتفصل من الانتساب إلى المصرية بجملته الماثورة « لو لم أكن مصرياً
لوددت أن أكون مصرياً »^(١) وهذا الاعتزاز بالمصرية أكرم وأشرف
من التعصب الأعمى للجنس الآرى الذى عمد إليه ادولف هتلر فى كتابه
« كفاحى » بعد ذلك بسبعة عشر عاماً . وكانت عقليته السياسية
وهضمه لأساليب الاستعمار من النضوج بحيث قال « باطلا يعتقد البسطاء أن
الانجليز مع كونهم ينوون البقاء فى مصر يقبلون منح أهلها حكومة دستورية
لأنه لو جاز ذلك لكان وجودهم فى هذه الديار يوم يؤسس فيها مجلس
نيابى تام السلطة واسع السلطان نافذ الكلمة لغوا ولأصبحوا فى هذا القطر
لاعبين »^(٢) وهو أمر غاب عن جميع الأحزاب السياسية التى تناوبت
الحكم فى مصر منذ عام ١٩٢٠ لأن التجربة أثبتت أن بقاء الأصبع
الأجنبية قد شل من سلطة البرلمان المصرى واعتدى على حقوقه الدستورية
فى أكثر من تشريع مصرى هام كما أن هذه التجربة قد أثبتت أن مجلس
النواب المصرى منذ إنشائه فى عام ١٩٢٤ لم يستعمل حقه الدستورى فى
الاقتراح على عدم الثقة بوزارة وإسقاطها بل الذى حدث على التوالى هو
العكس إذ أن كل وزارة مصرية — تؤيدها السياسة الأجنبية — قد

(١) خطبته بالاسكندرية فى ٢٢ أكتوبر عام ١٩٠٧

(٢) خطبته بالاسكندرية فى ٢٢ أكتوبر عام ١٩٠٧

استطاعت التخلص من كل مجلس نواب مصرى يناوىء تلك السياسة ولا شك أن مصطفى كامل — رغم حداثة سنه بالنسبة لزعماء الأحزاب السياسية المصرية الحالية — كان أبعد نظراً منهم جميعاً فهو الذى قال : « هذه أمم الغرب يترك الفرد من أبنائها بلاده ويطوف الأرض من جانب إلى جانب وهو فى كل مكان ينزل به قوى الجنان شاعر بأنه المثل لوطنه الدال عليه معتقد أنه رايته التى إذا أهينت أهين وإذا مست بسوء قامت لأجلها بلاده وقعدت وما هذا الاعتقاد وذلك الشعور إلا لأن الأمة وثقت ببعضها وارتبط كل فرد ببقية أفرادها فصارت كتلة واحدة لا يعتدى عليها زمان ولا يجروء على المساس بها إنسان أما الأمة التى ظنت بنفسها السوء وتركت هذا الظن الفاسد ميراثاً لأبنائها وأحفادها فقل عليها السلام وادعها أمة الموت والفناء .

لا يؤلم المصرى المحب لبلاده مثل ما يسمعه ذات اليمين وذات الشمال من سوء مظنة المصريين بأنفسهم وتناقض هذه الأقوال المميتة للخواطر القائلة لكل حركة وإرادة من الكبير إلى الصغير وشيوعها حتى بين الأطفال الناشئين

ما هذا السم القتال الذى تناولته الأمة عن طيب خاطر ؟ ما هذا البلاء المدمر للبلاد الذى حل بها وتساقط على رؤوس أهلها وهم اليه ناظرون ؟ كيف تنسى هذه الأمة العزيزة أنها هى التى فتحت وقهرت وضربت وانتصرت وبهرت العاملين بقدرتها وشدة بأسها ؟

لا ريب أن أصل هذا البلاء وجراثيمه ذلك الداء إهمال أمر التربية الوطنية ومحو آثار التاريخ المذهب للعقول والأرواح من المدارس والمكاتب « (١)

(١) خطبته فى ٢١ مايو سنة ١٩٠٢ بمناسبة الاحتفال بانقضاء مائة عام على تولية محمد على باشا حكم مصر .

وهذا أمر آخر غاب عن الزعماء المصريين الذين تولوا قيادة الرأي العام المصرى بعد ذلك فلم يفتنوا إلى أن تربية الشعب تربية وطنية . وأثارة النخوة والاعتزاز بماضيه والزهو بتاريخه هو الأساس الأول الذى تبنى عليه كل حركة وطنية موفقة . ولم تصدر كتب فى « التربية الوطنية » بمصر إلا بعد خطاب ذلك الزعيم الشاب بأكثر من عشرين عاما . ولم يراع فى وضعها الوازع الوطنى بل سيقّت أساليبها فى قالب مدرسى جاف لا يحقق الغرض السامى الذى كان يرمى إليه مصطفى كامل .

هذه نظرة سريعة إلى موقف زعماء مصر قبل عام ١٩١٩ الذين أيقظوا رأى العام المصرى وحددوا بعض أهدافه . وموقف زعمائها الذين خلقتهم الثورة المصرية التى نشبت عقب حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ . والذين لم يفعلوا إلا أن جاروا الشعور الوطنى العام . وإذا كنا نغتفر لأمثال السيد عمر مكرم عام ١٨٠٥ وأحمد عرابى عام ١٨٧٩ ومصطفى كامل من عام ١٨٩٥ إلى عام ١٩٠٦ أنهم لم يضعوا برامج واضحة صريحة للأحزاب السياسية المصرية التى أسسوها^(١) فاننا لانفهم كيف جرؤ زعماء الأحزاب السياسية التى خلقتها ثورة ١٩١٩ على مواجهة رأى العام بدون برنامج حتى أن سعد زغلول قد اعتمد على شخصيته الوطنية القوية فى إنشاء « الوفد المصرى » ببرنامج ساذج يتلخص فى شيئين . الإستقلال وحكم الشعب بواسطة الشعب^(٢)

ومركز مصر الجغرافى يجعل لها أهمية دولية لا يحس بها زعماء الأحزاب السياسية الحالية فهى بلا شك زعيمة الشرق الأدنى ، وهى زعامة اعترفت

(١) لم يعلن مصطفى كامل برنامج الحزب الوطنى إلا فى الخطبة التى ألقاها فى

٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ .

(٢) Hans Kohn : Western Civilisation in the Near East. P 83

بها جميع شعوب هذا الشرق ، ففي هذا الجزء من العالم نبت السبب الحقيقي
لحرب القرم وحروب البلقان والحرب العظمى الماضية ، وفي هذا الشرق
تعاركت بريطانيا العظمى وروسيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا ولا تزال تتعارك
على أهم طرق العالم لكي تفوز بسيادة العالم . وفي هذا الجزء يبدو جليا كيف
يقف نظامان من أنظمة التحكم في العالم . أحدهما تجسأه الآخر . أحدهما
نظام الاستعمار الأنجلوسكسوني القائم على التوسع التجارى والصناعى
لصالح الرأسمالية تؤيده دعاية سداها المبادئ المسيحية والديمقراطية ويوحى
به الشعوب بأريستوقراطية الجنس « النوردىكى » الذى يقطن شمال أوروبا
والآخر نظام الاتحاد السوفيتى القائم على التوسع الاشتراكى الذى يوحى
به مثل أعلى جديد سداه الايمان بمساواة جميع الأجناس والشعوب فى
الحقوق مساواة مطلقة وهذا النظام يعلن استعدادا لمساعدة جميع الشعوب
الراغبة فى التحرر . وأمام هذا الجهد الذى يبذله النظامان تجد شعوب الشرق
نفسها فى عراك مع خصمها الخارجى . وهو الاستعمار الذى يرى من مصلحته
أن تبقى هذه الشعوب فى حالة ضعف وفى مستوى منخفض من الحياة وهى
حالة يعرف الخصم الخارجى كيف يستغناها وقد ورثت شعوب الشرق من
الماضى تركة مثقلة بالفقر والجهل ، وقل التعاون بينها لتفرق شعوبها فى
مساحات شاسعة متباعدة . فلم بعد أفرادها يحتملون المقاومة فى سبيل مثل
أعلى . ويتسمون بقوة الشخصية . ويضطلعون بالمسؤولية ، وهذه النقائص
تنفىء بخلق جيل من الزعماء المثقفين الذين يحسون بها ويتعهدون بالقضاء
عليها^(١) ولكن الجيل الجديد من الشبان المصريين الذين أحسوا بتلك
النقائص قد تبينوا أن مصر . وطنهم الخالد . الذى به يفخرون . وله يعملون

وفي سبيله يموتون . لها مقوماتها التاريخية الخاصة . وظروفها الاجتماعية المميزة لها . ووجهات نظرها الخلقية التي تتسم بها وتنفرد عن غيرها . فالنظامان اللذان يتعاركان على حدود مصر للفوز بالسيطرة عليها لا يصلحان لها إطلاقاً إذ أن التوسع الاستعماري الانجلوسكسوني قد أساء إلى مصر إساءة بالغة كما أساء إلى غيرها من بلاد الشرق الأدنى فقد بلغ من أثره السياسة الاستعمارية الأوروبية أثره وحشية في استغلال هذه البلاد وفي اختيار حكومات عاجزة لا ضمير لها من أبنائها لحكمها أن تسببت في خراب بعضها وتعريض كافة بلاد الشرق الأدنى للخراب^(١) وقد تبين فعلاً بعد الحرب العظمى الماضية أن العرب قد نجح في غزو الشرق مره أخرى كما فعل أثناء الحروب الصليبية^(٢) مع فرق أن الغزو الحديث كان لأغراض استعمارية اقتصادية ويكفي أن أذكر هنا أن مصر — وهي دولة مزدهرة بالسكان وغنية — قد احتلت من عام ١٨٨٢ وظلت تعاني ذلك الاحتلال إلى يوم ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ عندما أعلنت الحكومة الإنجليزية تصريحها المعروف باستقلالها .

وفي خلال هذه الأعوام الأربعين لم تتورع الإدارة الأجنبية التي كانت وحدها مسؤولة عن وزارة المعارف العمومية . عن ترك الأمية متفشية فقد أثبت إحصاء عام ١٩٢٧ أن نسبة الذين يستطيعون القراءة والكتابة من الذكور ٢٠٪ من مجموع عدد السكان ونسبة اللاتي يستطيعنهن من الإناث ٤٪

وقد اعترف لورد كرومر في تقريره عن مصر عام ١٩٠٥ بأن « من يقابل بين صناعة مصر الآن وبين ما كانت عليه منذ عشر سنوات أو

(١) Morgan Shuster-The Strangling of Persia

(٢) Hans Kohn — المرجع السابق الإشارة إليه — ص ٦٨ .

خمس عشرة سنة مضت - أى قبل الاحتلال البريطانى - يجد أن الأمكنة التى كانت مزدهرة بصناع الغزل والحياكة والصباغة والنسيج والأحذية والصباغة والمطارة والأدوات النحاسية والسروج والمناخل والأقفال قد قلت أو اندثرت وقام على أطلالها قهوات وحوانيت ملائى بضائع أوروبية .

ولست هذه المقدمة مجال الأسهاب فى بيان الأضرار التى عادت على مصر من سياسة الاستعمار الأوروبى بل مجاله باب آخر من أبواب هذا الكتاب عند الكلام على الجزء الخاص بإعادة مجد مصر الصناعى من برنامج « العمل لمصر » ولكن يكفى أن أذكر أن سياسة التوسع الاستعمارى قد قضت بالأ ت تكون فى مصر زراعة غنية إلا زراعة القطن ولكن المصريين لا يجنون منها ربحاً صناعياً منذ أغلقت مغازلهم لأن رجال الاحتلال رأوا وجوب إغلاقها لى تريح مغازل لانكشير ومانشستر وليفربول وبذلك يصدر القطن من مصر إلى المغازل الانجليزية ويعود إليها قاشاً باهظ النفقات (١)

أما النظام الآخر . وهو النظام الذى يروج له اتحاد السوفييت فهو الآخر لا يصلح أساساً لحياتنا الاقتصادية والاجتماعية لأنه أن صلح لروسيا فإنه يتعارض مع المقومات الدينية والخلقية للأنظمة الاجتماعية التى قام عليها مجد الشرق فى ماضيه البعيد والقريب . ومن واجب الجيل الجديد من الشبان المصريين الذين يتقدمون لخدمة مصر أن يفهموا مواطنيتهم إلى أنه إذا كان العالم قد أعجب برجولة الروسين فى الدفاع عن وطنهم ورد عادية الغزاه . وتقديم أكبر مساعدة إلى قضية الديمقراطية التى انضمت مصر

(١) جوليت آدم — « إنجلترا فى مصر » ص ١٨١ (ترجمة على فهمى كامل)

إلى أنصارها راضية مقتنعة فإن هذا الإعجاب ليس معناه اعتناق المبادئ الشيوعية . وإذا كان اتحاد السوفييت قد وجه عقب خلع القيصر وتأليف الجمهوريات الاشتراكية نداء إلى شعوب الشرق ذكر فيه « إلى مسلمى الشرق . إلى الإيرانيين والأتراك والعرب والهنود . إلى من تاجر للصوص أوروبا الجشعون برؤوسهم وحريرتهم وأوطانهم مدى قرون عدة . إلى كل من يريد للصوص الذين بدأوا الحرب أن يقتسموا بلادهم . نعلن أن المعاهدة السرية التى أبرمها القيصر الخلع بشأن الاستيلاء عنوة على القسطنطينية قد مزقت وألغيت . ونعلن أن المعاهدة الخاصة بتقسيم إيران قد مزقت وألغيت . ونعلن أن المعاهدة الخاصة بتقسيم تركيا والاستيلاء على أرمينيا قد مزقت وألغيت . لا تضيعوا وقتاً فى نقض اللصوص الذين اغتصبوا أوطانكم عن أكتافكم . لا تتمكنوا بعد من استغلال أرضكم ليسلبوها . يجب أن تكونوا أنتم أنفسكم سادة أوطانكم . إن هذا من حقكم . ومصيركم فى أيديكم » ^(١) — إذا كان اتحاد السوفييت قد أعلن ذلك عقب الحرب الماضية فقد تبين بعدئذ أنه قد ضم أرمينيا إليه رغم ذلك . وأنه عمل على توسيع نفوذه السياسى والاقتصادى فى إيران وأنه لا تزال له مطامع جغرافية فى مضائق البوسفور والدردنيل تشبهه إلى حد كبير المطامع التاريخية التى كان يتمنى قيامها روسيا تحقيقها قبل زوال دولتهم .

إننا نؤمن بحقيقة واحدة . هى أن أى برنامج لحزب مصرى جديد يجب أن يعتمد على تأييد المصريين وحدهم دون غيرهم . على إيمانهم بنفع هذا البرنامج وبقدرته على تحقيق ما نصبو إليه مصر وتستحقه من عظمة ومجد لأن التجربة قد أثبتت أن اعتماد الشعوب الضعيفة على المساعدة

الخارجية في السياسة العملية هو مجرد مقامرة ^(١)

« العمل لمصر » فكرة جديدة : اقتنع بها نفر من الشبان المصريين المؤمنين بحق مصر في حياة دولية عظيمة مجيدة وبقدره المصريين على توفير هذه الحياة لوطنهم إذا نفذوا برنامجاً معيناً واضح الأهداف يحدد الأغراض صريح الأساليب . وهم في تحقيق هذا البرنامج يعتمدون على اقتناع كل مصرى ومصرية بما اقتنعوا به . وعلى اشتراك كل مصرى مصرية في تنفيذ ذلك البرنامج أو العمل على تنفيذه وهذا لا يمكن تحقيقه إلا إذا شعر الفرد في مصر — أثناء العهد الجديد — بكيانه شعوراً حقاً . تحميه القوانين والأوضاع التشريعية الجديدة والظروف الاجتماعية التي ستنشأ حول فكرة « العمل لمصر » !

وهذا الايمان بكيان الفرد يخالف مخالفة تامة ما ذهبت إليه برامج بعض الأحزاب السياسية الأوروبية التي نشأت قبل هذه الحرب الأخيرة . فمنها من رأى أن تضحية الفرد ضرورية لضمان بقاء الجنس وأن أهم شرط لانشاء واستقرار دولة هو شعور معين بالتعاون قائم على توافق في الخلق والجنس وعلى أهبة المدافع عن ذلك كله بأى ثمن ^(٢) أى أن تكوين الدولة لا يقوم على أساس الفرد المتكرر بل على أساس مجموع الجنس . وفي سبيل هذا المجموع يجب أن تضحي حقوق الفرد وهذا الاعتقاد بتفاهة الفرد عند تلك الأحزاب هو الذى دعاها إلى تفسير نفسية الجماهير بأنها لا تتأثر إلا بكل ما هو قوى عنيف وبأن هذه الجماهير كالمرأة التي لا تتمكنها حواسها الداخلية من التعقل ووزن الأمور رزنا صحيحا . بل أنها تصبو دائماً إلى

Eliot Grinnell Mears—Modern Turkey (١)

Adolf Hitler — Mein Kampf , P. 141 (٢)

القوة التي تكمل كيانه فهي تفضل الانحناء للرجل القوي على إخضاع رجل ضعيف والحاكم الذي يميل لإرادته على الرجل الذي يلتمس منها أن تتبعه . وهي تشعر باطمئنان عقلي إذا وجدت من يعلمها شيئاً لا يقبل أن يتحول عنه أكبر من اطمئنانها لو تركت لها حرية اختيار ذلك الشيء أو التحول عنه إلى شيء آخر : فليست لدى هذه الجماهير إلا فكرة ضئيلة جداً عن كيفية ذلك الاختيار ولذلك تميل إلى الشعور إذ ذاك بأن معلمها تخلوا عنها . وهي لا تكاد تخجل من أن تتعذب عقلياً كما أنها لا تحس إلا نادراً بأن حرياتهما ككائنات آدمية قد اعتدى عليها وهي ترى القوة التي لا ترحم ومظاهر قسوتها الوحشية فتخضع لها^(١)

ولكن أنصار « العمل لمصر » لا يقرون هذا المذهب بل يرون رجوعاً بالمدنية الانسانية إلى عهد بائد ، وقد أثبتت تجربة الحرب الأخيرة أن المذاهب التي دعت إلى إفناء الفرد خابت خيبة مرة ، ولم تجلب على زعماء تلك المذاهب إلا الويلات . وعلى الشعوب التي انقادت لهم إلا الخراب

إن « العمل لمصر » — كما قلت في هذه المقدمة — فكرة نعرضها على كل مصري ، ولكل مصري أن يناقشها . أو يعدل فيها . أو ينبذها . ولكن إيماننا بعظمة هذه الفكرة ونفعها أشد من تهيننا أية معارضة ، فعرض هذه الفكرة الجديدة التي تنهم جميع الأحزاب السياسية القائمة بالتقصير في حق مصر . والتي تدعو إلى حشد جهود جبارة من كل فرد وكل هيئة . وكل مجموع لتحقيق البرنامج الضخم الذي وضعناه . والتي نجبذ حرمان بعض طوائف المصريين والأجانب من امتيازات نالوها في غفلة الزمن لاسعاد المجموع المصري . وإنشاء « مصر العظمى » — عرض

هذه الفكرة سيثير بلا شك غضب الكثيرين ممن لا يستريحون إلى الفكرة الجديدة . لأنها تتعارض مع مصالحهم . أو لأنها تكشف عن نقائصهم . وتوقع هذا الغضب لا يثنيانا عن عزمنا فالمصرى الذى يرى أمراضا تفتك بوطنه . وهو يعرف سر الدواء الذى يشفى هذا الوطن العزيز منها يجب عليه أن يتقدم لمكافحة تلك الأمراض وإلا كان خائنا لا يستحق شرف الانتماء إلى هذا الوطن الحبيب .

واعتمادنا فى تنفيذ برنامجنا على إقناع المصريين به يفهم منه بداهة أننا لا نفكر فى إقامة أية ديكتاتورية من أى نوع كان بل نفكر الطفيان بكافة مظاهره . نحن لانفهم أن يوصف الزعيم فى الوقت الحاضر بأنه لم يعد القائد الروحى وإنما مروض الوحوش ^(١) ولا نفهم أن يقال فى القرن العشرين وبعد آلاف السنين من جهاد عنيف فى سبيل حرية الفرد إنه يجب أن يرسخ فى الذهن أن الأغلبية لا يمكن أن تحمل محل الرجل الموهوب وإن هذه الأغلبية لا تمثل الجمل فحسب بل الجبن أيضا وإنه كلما خف عبء المسؤولية عن عاتق الزعيم كلما كثر عدد الأفراد الذين يشعرون رغم انحطاط شعورهم العقلى بأنهم مدعوون إلى تسخير نشاطهم لمصلحة الشعب فينتظرون فى صف طويل فى ألم وحزن يعدون الساعات الباقية على احتمال تقدمهم إلى الأمام ويراقبون كل تغيير فى مراكز الحكام التى يصبون إليها ويفرحون لكل فضيحة قد تبعد عن طريقهم واحداً من المتطلعين إلى تلك المراكز من يكون قد سبقهم فى الصف إليها ^(٢) ولا نفهم أن تهاجم إرادة الشعب إلى حد أن يقال إن الفكرة التى تقرر أن الانتخاب العام هو الذى يمد لاكتشاف العباقرة من أبناء الشعب فكرة سخيفة

(١) Henri Massis: Chefs. P 31 : والرأى منسوب إلى المفكر الألمانى Keyserling

(٢) Adolf Hitler : P 81

أولاً لأن الأيام التي يظهر فيها سياسى عبقرى واحد بين الشعب هي أيام باركها الله وحددها تعالى ولا شأن للشعب بها . وأن مثل هذا السياسى يظهر بمفرده لا بالملئات أو الآلاف . وثانياً لأن الجماهير تشعر بكراهية غريزية لكل رجل عبقرى . وأنه لأسهل أن يرى الجمل يمر من سم الخياط على أن يرى رجل عظيم يكتشف عن طريق الانتخاب العام وأن كل ما حدث فى التاريخ مما يعد فوق مستوى الجمهور العادى كان يرجع الفضل فيه إلى قوة جارية صادرة من فرد واحد ^(١) لأن التجربة قد أثبتت فى مصر أن الشعب المصرى هو الذى « اكتشف » سعد زغلول فانتخبه وكيلاً للجمعية التشريعية . فى وقت لم يكن يملك فيه أن « ينتخبه » رئيساً والشعب المصرى — بقوته الجارفة — هو الذى جعل سعد زغلول زعيماً وطنياً أثناء الثورة عام ١٩١٨ . فحملة على أن يسخر مواهبه لمهاجمة أوضاع يشهد ماضيه بأنه كان يقرها فى وقت لم يكن الشعب قد جرفه فيه إلى اتجاهه الجديد . والتجربة قد أثبتت فى إنجلترا أن الشعب — عن طريق الانتخاب — هو الذى « اكتشف » ونستون تشرشل . وهو الذى أعانه على أن يهزم من قال هذا الكلام الذى أشرنا اليه هزيمة غيرت وجه التاريخ . نحن لا نفهم أن يقود الزعيم شعبه كما يقود المدرس أطفال مدرسته . فيتعالى عليهم لى يستطيع أن يسوسهم ^(٢) ولا أن يجترىء زعيم على القول إنه إذا اعتزم أمراً فإنه لا يسمح لأية معارضة بأن تنفيه عنه إلا إذا اقتنع عن طريق التجربة والوقائع المادية بفساد رأيه وأن ضميره هو ينبوع الوحيد الذى يغذى تصرفاته لأن عمله كزعيم يكشف له عن أمور كثيرة تغيب عن مص

Hitler : Mein Kampf p. 87,88 (١)

Henri Massis : Chefs P. 70 (٢)

للمتخرج الذى لا يعمل عمل الزعيم ويدال على هذا الزعم بأن المهندس المعماري ليس فى حاجة الى مهندسين معماريين آخرين يقفون خلفه لينبهوه الى الأخطاء التى تظهر فى البناء الذى يشيده وأنه أعجب دائماً بالجملة التى توضع على المنازل التى لم يتم بناؤها بعد وهى « الدخول محظور على كل شخص أجنبي عن العمل ! »^(١) لأن التجربة قد أثبتت أن الذى قال هذا الكلام كان يستطيع أن ينقد شعبه من النهاية التبعة التى انتهى اليها لو أنه سمح لغيره من السياسيين بأن يقفوا خلفه لينبهوه الى الأخطاء الهائلة التى ارتكبها ولكنه عند ما حظر الدخول على الأجانب عن زعامته وعمل بمفرده فقد تلك الزعامة وجر شعبه الى الهلاك . نحن لانفهم أن يتلاعب طاغية بالألفاظ فيزعم أن احساس الحاكم بواجب الدفاع عن الشعب والارتقاء به رقياً مادياً وأدبياً لايعنى أبداً الظن بأن مجموع الشعب هو مصدر السلطة وأن الحكومة إنما هى صنعة المجموع وليست نخبة ممتازة يقع عليها واجب قيادة المجموع والتضحية بنفسها فى سبيله . وأن الرغبة فى ضمان الحريات الضرورية للحياة الاجتماعية والكرامة الانسانية نفسها لا تحتم اعتبار الحرية دعامة يجب أن يرتفع فوقها بناء الكيان السياسى للدولة . وأن الحرية قد انتهت بالوقوع فى نطاق التعبير الصوفى الذى يقول « لاحرية ضد الحرية » وأنه لىكى ننسجم مع الفكرة الصحيحة عن الفرد وحقائق الحياة يجب أن نقول إن حرية الفرد موجودة دائماً إلا إذا تعارضت مع المصلحة العامة^(٢) لانفهم هذا اللعب على الألفاظ لأن التجربة قد أثبتت فى نفس الدولة التى قيل فيها هذا الكلام أن قائله عطل الحريات العامة ليستأثر بالسلطة — كغيره — وادعى أن

(١) المرجع السابق ص ٧٢

(٢) المرجع السابق : « سالا زار أو ديكتاتورية الذكاء » ص ٩٢ و ٩٣

العناية الالهية قد أرسلته لقيادة شعبه . ولا نفهم أن يجتذب زعيم عطف الشعب بالالتقاط الخلافة التي يبدو من ظاهرها الحذب على ذلك الشعب فيقول « إلى أى حد يعود شقاء الشعب المادى والمعنوى الى طريق كان يجب إنشاؤه ولم ينشأ وطريق أهملت ضيافته ولم يصلح ومدرسة كان يجب أن تفتح ولم تفتح! ^(١) » ثم لا يلبث أن يعلن أن الشعوب لا تحكم وفق هواها وإنما وفق ما يقضى به مجموع مصالحها وحقيقة آرائها ^(٢) لانفهم ذلك ولا نقره لأن تبين تلك المصالح وحقيقة الآراء مسألة مطاطة يترك الطاغية لنفسه — دون الشعب — تقديرها . كما لانفهم أن يصف زعيم رغبة الجماهير فى الاشتغال بالسياسة بأنها حمى . وأن يزعم بأنه لا يوجد وباء يصيب بأبلغ الضرر الحياة الخاصة والحياة العامة . والكيان المادى والكيان المعنوى والضمير والدكاء كمرض السياسة ^(٣) لأن هذا الاتجاه فى التفكير يقصد به تبرير تعطيل الحريات العامة واستيلاء الطغاة على مقاليد الأمور دون معارض أما « العمل لمصر » ففكرة تستوحى كل عناصرها من ارادة الشعب فهى فكرة ديمقراطية صميمة وطبيعية النظام الديمقراطى الحر تبيح لكل مواطن أن يشترك اشتراكاً فعلياً فى توجيه سياسة وطنه . بل أن بعض الدساتير يجعل ذلك الاشتراك واجباً حتمياً بينا الدول التى يستأثر الطغاة بالحكم فيها تعمل دائماً على أن ينصرف المواطنون عن الاهتمام بالمسائل السياسية .

ونحن لانقول ماقاله بعض الداعين الى المسائل الاقتصادية الجديدة التى تمخضت عنها الحرب العالمية الماضية من نبذ الفردية والمبادئ الحرة التى

(١) Oliveira Salazar : Revolution dans la Paix المرجع السابق ص ٨٥

(٢) هذا هو رأى المفكر الفرنسى Fustel de Coulanges

(٣) رأى آخر للمفكر فوستيل ده كولانج اعتنقه اوليفيرا سالازار ضاغية البرتغال

نشأت في القرن الماضي ووصف عواقبها بأنها عواقب سيئة والزعم بأن إعطاء الدولة حقاً في الحد من نفوذ الطبقات « البورجوازية » بما فيها أصحاب رؤوس الأموال الذين يستغلون الطبقات العاملة ويعيشون عيشة الطفيليات عالة على العمال ليس الغرض منه انتهاج سياسة عمالية متصاعدة وتبرير ذلك الزعم بأن الشعب الذي تستأثر فيه الدولة وحدها بالثروة لا يوحى بالرغبة في خدمته ^(١) ولا نقول أيضاً أن للدولة الحق في ترقية وتنسيق ومراقبة وتوجيه جميع النشاط الوطني ولكن بدون أن تحمل محلها أو تنافسها ولا نقول أن وطنية الدولة قاصرة على تنظيم الجمعيات ونقابات العمال . ونقابات أصحاب الأعمال وعلى الإسراع في إضفاء طابع وطني على مختلف فروع الزراعة والصناعة والتجارة دون أن تسعى الدولة لكي تصبح مزارعة أو صانعة أو تاجرة ^(٢) لا نقول لاهذا ولا ذاك لأننا نعتقد بأن هذا الكلام تنقصه الصراحة ولذا يتناقض قائله مع نفسه تناقضاً ظاهراً . لأننا نؤمن بأن في الامكان — بالنسبة لمصر — أن تزيد ميزانية الدولة زيادة هائلة عما عليه الآن . وفي نفس الوقت تقوى نواحي النشاط الصناعي والزراعي والتجاري فتزيد موارد أصحاب رؤوس الأموال . وأن يتمتع العمال — صناعيين وزراعيين — بحياة رغدة كريمة . وأن تتحصن أسرمهم ضد العوز والمرض والشيخوخة وأن تمد أمامهم السبل للانتقال إلى مرتبة أصحاب الأعمال دون شن حرب بين الطبقة العاملة وطبقة أصحاب رؤوس الأموال . لأن مصر دولة رأسمالية ومصنعتها وحقيقتها مبول شعبها تنسجمان تماماً مع النظام الرأسمالي . ولأننا نؤمن بأن ثراء الدولة لا يتعارض مع ثراء

(١) خطبة أوليفيرا سالازار في ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٣

(٢) Henry Massis — « سالازار أو ديكتاتورية القلاء » من كتاب

الأفراد ولا يتحقق دائماً على حساب هؤلاء الأفراد بل إنه يمكن أن يتحقق بسبب ثرائهم إذا نفذنا برنامج «الاستعمار الداخلى» لمصر استعماراً زراعياً وصناعياً واسع النطاق بواسطة المصريين . ولأننا نؤمن بأن الظروف الخاصة التى أحاطت بمصر بسبب نظام الامتيازات الأجنبية تجعل من واجب الدولة — حتى فى ظل النظام الرأسمالى — أن تتولى بنفسها «ترقية وتنسيق ومراقبة وتوجيه» نوع واحد من أنواع النشاط الوطنى وهو الذى يؤدى «خدمات عامة» كشركات النقل والنور والماء وأن تترك الأفراد استغلال باقى نواحي النشاط الوطنى ، وهى عديدة ، استغلالاً حراً لا يقيد به إلا حرص الدولة على نمو ذلك النشاط واضطراده . والدليل على صحة ما نقوله أن الدولة التى قال طاغيتها هذا الكلام الذى زرد عليه قد واجهت أزمة خطيرة فى الطعام فاضطر مزارعوها أن يذبحوا أبقارهم لنقص الغذاء . واختفت الألبان ومنتجاتها من أسواقها ^(١)

« العمل لمصر » إذن فكرة ترمى إلى تحقيق خلق مصر العظمى بطريق الاقتناع وحده دون غيره . ولا تقر شكلاً من أشكال الاجرام أو الشعب أو العسف لنشرها أو كسب أنصار لها . لأنها — كما سبق أن قلت — تكره الطغيان . مهما كان مخففاً ومعتدلاً . فقد ذهب البعض إلى وصف نوع من الطغيان بأنه « أشرف وأعقل وأكثر أنواع الطغيان الموجوده فى أوروبا اتزاناً » ^(٢) ولكن الطغيان لا يمكن أن يكون شريفاً وهو يقوم على سلب حرية الفرد ولا يمكن أن يكون عادلاً وهو ينفرد بالبت فى مصير شعب بأكمله دون مشورة أحد . ودون السماح بمعارضة ولا يمكن أن يكون متزناً وهو يستوحى كيانه من انقلاب مفروض على

(١) جاءت البرقيات من البرتغال خلال شهر يونيو سنة ١٩٤٤ بهذا المعنى

(٢) Jacques Baimville فى وصف طغيان أوليفيرا سالازار

الناس كرها بقوة السلاح . ولذلك فسوف تكون دعايتنا إلى فكرة « العمل لمصر » دعاية سلمية هادئة فنحن ننكر إلى حد الكراهة والمقت أن الظروف — مهما كانت — تحتم استعمال القوة الجسدية للدعاية إلى فكرة ما ^(١) ونرى أن الإشارة إلى أن مبادئ الثورة الفرنسية لم تثمر ثمرتها لما تضمنته من فلسفة جديدة في صدد سيادة الشعب وإنما لأنها وجدت جيشاً من المهيجين يقودهم مشعوزون شعبيون من طراز عظيم ^(٢) مغالطة مكشوفة وقياس مع الفارق فلم تكن الحياة النيابية موجودة في فرنسا عندما قامت تلك الثورة . ولم تكن للصحافة الفرنسية حريتها التي تمكنها من اعلان رأيها . أما مصر فلها حياتها النيابية . وللشعب فيها أن يجذب برنامجاً حزبياً معيناً بعد الاقتناع به فيعهد إلى أصحابه بشرف خدمته وصحافتها حرة لها أن تروج لرأي دون آخر . وأن تنقذ مادام نقدها في سبيل المصلحة العامة . كما أن لرئيس الدولة حقاً دستوريا سامياً في أن يوازن بين مختلف الاتجاهات السياسية ويتبين مافيه مصلحة الشعب فيؤليه ثقته الكريمة .

ونحن لانكتفى بانسكار الالتجاء إلى وسائل الشغب والاثارة لنشر برنامجنا بل نؤمن — مع جوته — بأن أضمن وسيلة للقضاء على أية روح ثورية هي اجابة مطالب الشعب المعقولة ^(٣) كما نؤمن بأن هذا الشعب وإن أخطأ في تفاصيل الحكم على الأمور فانه محق دائماً في الحكم على مجموعها ^(٤)

Adolf Hitler : P. 456 (١)

(٢) المرجع السابق ص ٤٦٠

(٣) Emile Ludvig-Genius and Character من دراسته للفكر الألماني شتاين ، Stein

(٤) المرجع السابق . من دراسته للفكر الألماني Rathenau ص ١٣٠

أما برنامج « العمل لمصر » الذى تتضمن هذه الدراسات شرحه وانيأ له مستندا إلى الحقائق التاريخية المسلم بها . ومدعماً بالآراء العلمية الثابتة . وقائماً على الاحصاءات الرسمية التى لاشك فيها فهو :

(١) إصرات انغلاب فى نظم التعليم بمصر يقوم على أساس الحقيقة التاريخية الثابتة التى تقرر أن مصر هى مهد الحضارة . وعلى أن مناعتها قد أفنت فى قوميتها كل الشعوب التى فكرت فى غزوها فظلت مدى التاريخ محنفة بسيادتها كاملة .

(٢) تكوين اتحاد Federation بمصر المسمى إلى مدورها

النارية وهى تضم السودان ومديرية خط الاستواء المعروفة بأوغندة واريثريه وزيلع وبربرة والاقطار العربية المجاورة لمصر وهو الاتحاد الذى أعلنت مصر تكوينه عام ١٨٣٠٢ ويحد شمالا بجبال طوروس والبحر الأبيض المتوسط وشرقاً بنهر الفرات وحدود نجد الغربية وولاية حضرموت والحبشة ومستعمرة كينيا وجنوباً بخليج عدن وبغاز باب المندب وبحيرة البرت نيازرا وغرباً بطرابلس ومستعمرة الكونجو البلجيكية . ويشمل ومصر وسوريا المعروفة بفلسطين وسوريا ولبنان والحجاز واليمن .

واللاتحاد برلمانه الاتحادى والاتحاد -- لا للاعضاء -- جيشه . وله -- لا للاعضاء -- ممثلوه السياسيون والقنصليون فى الخارج وحكومة الاتحاد فى القاهرة هى التى تبرم المعاهدات الخاصة به وهى التى تمثله فى جميع الاتفاقات الدولية . ولكن لكل عضو فى الاتحاد برلمانه الخاص يسن له التشريعات المحلية الملائمة له . كما أن نه حكومته المحلية التى تدير شؤونه فى الحدود التى يرسمها دستور الاتحاد . ومن شأن هذا الاتحاد أن

يجعل البحر الأحمر بحيرة مصرية عربية فيتحقق الشرط التاريخي الأول
لإسلامة الشرق الأدنى .

(٣) أفريقيا لأفريقيين : وهو مبدا يجب أن تحمل مصر العظمى
رسالة الدفاع عنه أمام العالم على ضوء الاتجاه الدولي الجديد الذي نشأ
عقب الحرب العالمية الحالية من وجوب تقسيم العالم الى جماعات متجانسة
في اللغة والخلق والجنس . فالحقيقة التاريخية والجغرافية تثبت أن مساحة
أفريقيا ١١٩٤٩٨٠٠٠ ميل مربع تقطن منها الشعوب السامية والحامية
التي تتكلم العربية وتدين غالبيتها بالإسلام أكثر من النصف . بينما الجزء
الآخر تقطنه الشعوب الآرية . التي تتكلم لغات أوروبية وتدين غالبيتها
بالمسيحية فالتعاون بين مصر — كزعيمة للمجموعة الأولى — واتحاد
جنوب أفريقيا — كزعيم للمجموعة الثانية — كفيل برفع العار الذي
لا يزال يصب هذه القارة بتقسيمها الى مستعمرات تملكها بعض دول أوروبا
وهي القارة التي لا تزيد مساحتها عن ربع مساحة أفريقيا .

(٤) استثمار مصر استثمارا واعليا بواسطة المصريين :

١ - نفى الزراعة يجب القضاء على خرافة عدم امكان زراعة أكثر
من ثمانية ملايين من الأفدنة وهي الداخلة في الزمام . منها نحو خمسة ملايين
مزروعة فعلا ونحو ثلاثة ملايين من الأفدنة البور تحت الإصلاح إذ أن
مساحة مصر تبلغ مائتين وأربعين مليونا من الأفدنة . يمكن أن يصل
المزروع منها الى عشرين مليونا من الأفدنة في خلال عشرة أعوام وذلك
بتنفيذ مشروع تخزين مياه النيل في وادي الريان جنوب مديرية الفيوم
وغرب مديرية بني سويف . وبوصل النيل بالبحر الأحمر بقناة تخرق
الصحراء الشرقية وتحمل الماء العذب الى مناطق المناجم المصرية وإنشاء .

شبكة من الآلات الرافعة للمياه الجوفية أى المياه التى تجرى تحت سطح الأرض التى فى مناطق يتعذر وصول ماء النيل إليها وزراعة مناطق غابات حول منطقة وادى الريان وصول التربة المقترح شقها على نطاق واسع ، وبتنمية الثروة الحيوانية وإنشاء مزارع على أحدث الطرق العصرية .

ب — وفى الصناعة يجب القضاء على خرافة أن مصر قطر زراعى ولا يمكن أن يكون صناعياً لافتقاره إلى المعادن والمواد الخام . فأبار البترول براس غارب فى منطقة البحر الأحمر وحدها تكفى حاجة مصر إلى هذا الزيت . ومعادن التوننجستين والكروم والقصدير والألمنيوم والفوسفات والحديد موجوده بكميات وافرة وفى الامكان مضاعفة الكميات المستخرجة من هذه المعادن بعد إيصال مياه النيل إلى منطقة البحر الأحمر . وإنشاء صناعات محلية بجانب منطقة المناجم المصرية بعد تعميمها . وتجب إزالة الاهال الشائن فى استغلال الشواطىء المصرية التى يبلغ طولها ألفين من الكيلومترات ومع ذلك فهى لا تقل إلا عشرة آلاف طن من الأسماك سنوياً من مجموع أربعين ألف طن من الأسماك تلتجها البحيرات المصرية ومياه النيل مع أن فى الامكان السهل الوصول الى إنتاج خمسة أضعاف هذه الكمية . وإنشاء صناعات أسماك محلية الى جانب المصائد والتدرج بالشعب الى قبول الأسماك ومنتجاتها كأحد الأطعمة الرئيسية شأن كل الأقطار الواقعة على البحار .

ج — وفى التجارة يجب العمل على تعديل الميزان التجارى بحيث يصبح فى صالح مصر . فبعد تنفيذ الشطرين ا و ب من البند الثالث من هذا البرنامج تصبح مصر قادرة — الى أكبر حد — على أن تكفى نفسها بنفسها ويتطور ميزانها التجارى الى مصلحتها فبعد أن كانت تستورد

في عام ١٩٤٠ بما قيمته ٣١٣٧٨٠٠٠ جنيهاً ولا تصدر إلا بما قيمته ٢٧٨١٢٠٠٠ جنيهاً تصبح قادرة على أن تصدر بما تزيد قيمته كثيراً عما نستورده .

(٥) زيادة الإيراد الأهل

في الامكان رفع هذا الإيراد من ١٨٥ مليوناً من الجنيهات كما كان مقدراً في عام ١٩٣٥ الى خمسمائة مليوناً في مدة عشر سنوات بعد تنفيذ البند الرابع من هذا البرنامج وبذلك يرتفع متوسط ما يخص كل مصري من اثني عشر جنيهاً في العام الى نحو ثلاثين جنيهاً في العام وهي نسبة تمكنه من أن يعيش حياة كريمة . وللوصول الى تحقيق هذه الحياة الكريمة لكل مصري يجب اتخاذ ثلاثة اجراءات حاسمة .

- ١ - وضع حد أعلى لتملك الأراضي الزراعية بحيث لا يزيد ما يملكه الفرد الواحد عن خمسمائة فدان . وما تملكه الأسرة الواحدة عن ألف فدان
- ب - تحريم تملك الأراضي الزراعية على غير المصريين .
- ج - إعطاء الدولة حق نزع ملكية الأراضي الزراعية التي يثبت أن أصحابها قد أهملوا صيانتها أو العناية بها . أو استغلالها بحيث لم تنتج العلة التي أنتجتها مشيالاتها في الموقع والجودة فتخلفت بذلك عن المساهمة بواجبها في الإقتصاد الوطني .

(٦) توفير ضروريات الحياة الصحية الأولية لقرى الأربعة آلاف

التي يتكون منها الريف المصري بتنفيذ مشروع إدخال الماء الجارى والمجارى العمومية الى تلك القرى وهو يكفل انقاذ أربعة عشر مليوناً من المصريين من مرض التراكوما واثنى عشر مليوناً من مرضى البلهارسيا

وثمانية ملايين من الإنكاستوما كما يكفل وقاية تكاد تامة من حميات
التيفوس والمالاريا والتيفوئيد . وهذا المشروع تبلغ نفقاته سبعين مليوناً
من الجنيهات يمكن الحصول عليها فوراً من بيع أراضي الحكومة التي تقدر
قيمتها بنحو مائة مليون جنيه .

(٧) تنظيم الادارة الحكومية على أساس إلغاء جميع الاستثناءات
التي أوجدتها تقلبات الحكومات الحزبية بعد قيام النظام النيابي في مصر
منذ عام ١٩٢٤ وذلك باصدار تشريع ذي أثر رجعي يقضى بتحديد مرتب
حملة الشهادات العليا الذين تخرجوا عام ١٩٢٤ عند صدور التشريع المطلوب
وأن يكون تحديد الرقم متفقاً مع مستازمات الحياة . وما تقرره المدة التي
قضاها الموظف في خدمة الحكومة من حق في مرتب يفي بحاجاته وحاجات
أسرته ويحدد التشريع مرتب حملة تلك الشهادات العليا من خريجي عام
١٩٢٥ عند صدوره ثم مرتب حملتها من خريجي عام ١٩٢٦ وهكذا . فإذا
قدر التشريع عند صدوره مرتب حملة الشهادات العليا الذين تخرجوا عام
١٩٢٤ بستين جنيهًا مثلاً فإن مرتب الذين تخرجوا عام ١٩٢٥ يكون خمسة
وخمسين جنيهًا والذين تخرجوا عام ١٩٢٦ يكون خمسين جنيهًا دون فرق
بين المتخرجين من كلية الطب أو الحقوق أو الصيدلة أو الهندسة فكلهم
سواء ودون فرق بين الطبقات الاجتماعية التي ينسبون اليها . أو الأديان
التي يعتنقونها فإذا وجد بين موظفي الدولة عند صدور التشريع من تلك
الطوائف من يزيد مرتبه عما حدده التشريع هبط إلى ذلك الحد . وإذا وجد
من يقل مرتبه عما حدده التشريع ارتفع إلى ذلك الحد على أن توضع حدود
أخرى لحملة الشهادات المتوسطة وغيرها على ضوء نفس الفكرة التي تنكر التفريق
بين الموظفين بسبب انتمائهم إلى أصحاب النفوذ أو تأييدهم لمختلف الأحزاب .

ب — إنصاف هؤلاء الموظفين في الترقيات والعلاوات والتنقلات بأن يعطى كل موظف إلى الدرجة الرابعة الحق في أن يشكو من أى غبن وقع عليه إلى إحدى دوائر المحكمة الابتدائية التي يعمل في دائرتها ؛ ولكل موظف من الدرجة الثالثة إلى الدرجة الأولى الحق في أن يشكو إلى إحدى دوائر محكمة الاستئناف التي يعمل في دائرتها . ولكل موظف من درجة مدير عام فصاعداً إلى وكيل وزارة أن يشكو إلى محكمة النقض والإبرام على أن يكون لهذه الجهات القضائية الحق في رفع الغبن الواقع على الموظف وفي توقيع الجزاء على الموظفين الذين يثبت أنهم يتخذون عن عمد تلك الشكاوى وسيلة لمشاغبة رؤسائهم فيتحقق التوازن بين الرئيس والمرئوس

ج — الهبوط بميزانية الموظفين إلى الحد المعقول الذي يتفق مع إنتاجهم ومع حاجة العمل وإلغاء المرتبات الاضافية والنفقات المظهرية لتمكين الدولة من تنفيذ البرنامج الذي يحقق مشاريع الإصلاح الكبرى

(٨) المودة هي التي تقوم بالإشراف على الشركات التي تتولى

الخدمات العامة services publics كالنقل بأنواعه والنور والمياه وليس للشركات ولا للأفراد الذين يتولون هذه المرافق الآن أن يعترضوا بحجة الحق المكتسب لأنه لا حق ضد مصلحة الدولة العليا

٩ — نشر التربية العسكرية لتكوين جيل يمتاز برجولته . ويعتز بوطنه ويفنى من أجل علمه وملكه وإعادة إنشاء الصناعات اللازمة لتكوين جيش وسلاح طيران وبحرية حربية وتجارية يجب أن تبلغ في خمس سنوات

١ — نصف مليون جندي في وقت السلم يصلون في وقت الحرب

إلى مليون

ب - ثلاثة آلاف طائرة حربية من طائرات التمرين والاستكشاف والتعاون مع الجيش والمقاتلات وقاذفات القنابل

ج - بحرية حربية مكونة من لاقطات ألغام ومدمرات خفيفة وطوافات مراقبة مجموع حمولتها خمسون ألف طن

د - بحرية تجارية - يمكن أن تستخدم في وقت الحرب للأغراض الحربية - يجب أن يصل مجموع حمولتها في عشر سنوات إلى مائتي ألف طن . للقيام بنقل البضائع والركاب من وإلى الموانئ المصرية

هـ - أسطول هوائي تجارى - يمكن أن يستخدم في وقت الحرب للأغراض الحربية - لمسيرة نهضة الطيران التي أعقبت الحرب الحالية والمساهمة مع الشركات والحكومات الأجنبية التي تشرف على النقل الجوى خارج مصر في استكمال شبكة الخطوط الهوائية العالمية

(١٠) تعديل الدستور الصادر به الأمر الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ وقانون الانتخاب الصادر به المرسوم بقانون رقم ١٤٨ لسنة ١٩٣٥ على الوجه الآتى :

١ - المادة ٣ من الدستور يضاف إليها النص على أن الوظائف العامة مدنية كانت أو عسكرية لا يعهد بها إلا إلى المصرى ابن المصرى

ب - المادة ٥٨ من الدستور التى تقرر أنه « لا يلى الوزارة إلا مصرى » يضاف إليها النص على أنه « لا يكون قد تولى عضوية مجلس إدارة شركة من الشركات خلال الأعوام الخمسة السابقة على اختياره للوزارة » .

ج - المادة ٨٥ من الدستور التى تكتفى بان تشترط فى النائب - زيادة على الشروط المقررة فى قانون الانتخاب - أن يكون بالعامن السن

ثلاثين سنة يضاف إليها النص على وجوب إتمام المرشح للدراسة العالية ، ولا يعنى من هذا الشرط إلا إذا حصل على أكثر من ثلاثة أرباع أصوات الناخبين الذين اشتركوا فعلاً في عملية انتخابه بالدائرة التي رشح فيها .

١ - المادة الأولى من قانون الانتخاب تعدل بحيث لا يعطى حق انتخاب أعضاء البرلمان إلا للمصريين والمصريات الذين أتموا الدراسة الابتدائية أو الإلزامية أو ما يماثلها من الدراسات الصناعية أو الذين يدفعون للدولة ضريبة سنوية لا تقل عن ثلاثة جنيهات أو الذين يدفعون إيجاراً شهرياً لا يقل عن ثلاثة جنيهات .

هذه هي الخطوط الرئيسية الخارجية لبرنامج « العمل لمصر العظمى » وفي الأبحاث التالية شرح لكل بند من بنود هذا البرنامج .

وأنى لمؤمن أشد إيمان بأن فى الإمكان تنفيذ الجزء الأكبر خلال الأعوام الخمسة القادمة ، وإنجاز باقية فى الأعوام الخمس التالية . فتحل مصر مكانها الدولية التى يؤهلها لها تاريخها الطويل الحافل بمواقف المجد ، والتى تتفق مع زعامتها التاريخية لحضارة العالم . وتصبح لمصر العظمى كلمتها فى أسرة الدول كما أنى مؤمن أشد إيمان بأن مصر لو استردت قوتها - قوتها الإقتصادية والاجتماعية - طبقاً لما جاء فى هذا البرنامج فإنها ستؤدى إلى السلم العالمى بعد الحرب الأخيرة خير خدمة ترجى من دولة تدين لها كافة الأقطار التى تتكلم العربية وتدين غالبيتها بالإسلام بالزعامة ... فىجب أن نبدأ بأن نكون أقوياء وعظاء ... وبعد ذلك يسهل أى أمر فى دنيا يسودها السلام ، فسر السلام وسر الإنسانية والحرية والإحسان هى القوة فإذا كان الفرد محسناً وخيراً وإسكته مشلول فإن إحسانه لا نفع فيه ^(١) وإنى أعتمد فى

تحقيق رسالة « العمل لمصر العظمى » على شباب مصر . على جيلها الجديد الذى لم يتلوث بما تلوث به الجيل الماضى ، فلم يرتعد أمام رئيس أجنبي وهو يستدعيه إلى مكتبه . ولم يرق ماء وجهه ولم يشب بزميل لكي ينال ترقية أو علاوة ، وأنى فى اعتمادى على الشباب أرى مع بول كلوديل^(١) أن الشباب هو سن البطولة لاسن اللذة كما يزعمون واعتمادى على هذا الشباب هو الذى جعلنى أعلن فى هذه المقدمة أنتى لن ألبأ إلا إلى الإقناع فى الدعاية لهذا البرنامج . وفى العمل على تنفيذه . فالدعوة مثلاً إلى بث الروح العسكرية وزيادة الجيش المصرى وإنشاء البحرية الحربية والطيران ليس معناها التأهب للحرب فالحروب لا تشنها الأحزاب التى تعتمد على تأييد الشباب لأن الآباء هم الذين يدفنون الأبناء فى كل حرب بدلا من أن يدفن الأبناء آبائهم فى أوقات السلم العادية^(٢) ولا شك أن أدنا غدر عرفه التاريخ هو ما اقترفته الأحزاب الفاشية التى أوصلها الشبان إلى كراسى الحكم فى برلين وروما فكان جزاء أولئك الشبان أن أرسلهم زعماء تلك الأحزاب إلى ميادين القتال لتحصد هم نيران المدافع وهم فى زهرة العمر . . .

أما بعد فإذا استطعنا أن ننفذ هذا البرنامج الضخم - ونحن مؤمنون بأن فى الامكان تنفيذه - فانتنا نكون قد أدينا لوطننا أعظم خدمة أديت إليه فى تاريخه الحديث منذ أعلن ابراهيم باشا تأليف « اتحاد مصر العظمى » فى عام ١٨٣٢ عقب وصوله إلى جبال طوروس ونحن فى تنفيذ هذا البرنامج نعتقد أن تجارب الحرب العالمية الأخيرة قد صهرت الصداقة بين مصر

(١) Henri Massis : Chefs P. 53 والرأى المفكر Paul Claudel

(٢) Hérodote

وبريطانيا - وهى الصداقة التى ندعو اليها ونؤيدها - وأثبتت بالدليل
العملى ان مصر الحديثة الوفية لقضية الديمقراطية تستطيع أن تؤدى حليفها
أكبر خدمة وأن يكون وفاؤها نقطة التحول فى تلك الحرب الضروس وأن
السياسة الانجليزية الخارجية قد تأثرت بعظات تلك الحرب وتحررت من
الاعتبارات الرجعية القديمة وأصبحت أكثر استعداداً لترك هذه المنطقة من
الشرق الأدنى تستعيد مكانتها التاريخية لتمكينها من المساهمة مساهمة
فعالة فى إقرار السلم على قدم المساواة مع غيرها من أعضاء أسرة الدول ..
ونحن فى تنفيذ هذا البرنامج نضع نصب أعيننا كلمة فواتير التى يقول
فيها « إن عظماء الرجال يجيئون عندى فى المرتبة الأولى والأبطال العسكريين
فى المرتبة الثانية . وأولئك الذين أسميهم عظماء هم الذين يميزون أنفسهم
باجراء نافع أو بعمل من أعمال البناء أما الآخرون الذين يغيرون على المدن
ويدكونها فليسوا الا مجرد أبطال » .